جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

# فاعلية المرجعيات النصية في تشكيل الخطاب الشعري الحديث في ليبيا

(١٩٧٠ – ٢٠١٠م)

رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية
تخصص أدب

إعداد الباحثة

**ماجدة حسين المبروك الضبيع**

تحت إشراف

**أ.د/ عبد الناصر حسن محمد**

أستاذ الأدب والنقد الأدبي–كلية الآداب

جامعة عين شمس

**د/ هدى عطية عبد الغفار**

مدرس الأدب المساعد–كلية الآداب

جامعة عين شمس

١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م

جـــــامعة عين شمس

كلـية الآداب - قسـم اللغة العربية

رسالة دكتوراه

اسم الطالبة : ماجدة حسين المبروك الضبيع

عنوان الرسالة : " فاعلية المرجعيات النصية في تشكيل الخطاب الشعري الحديث في ليبيا (1970 - 2010) "

الدرجة العلمية : دكتوراه في الآداب - قسم اللغة العربية

لجنة الإشراف والمناقشة

| الإسم | الصفة | الجامعة | التوقيع |
|---|---|---|---|
| د. عبد الناصر حسن محمد | مشرفاً ورئيساً | جامعة عين شمس | ..... |
| د. طارق سـعد شلبي | عضواً | جامعة عين شمس | ..... |
| د. محمد أحمد بريري | عضواً | جامعة بني سويف | ..... |

القاهرة 1436هـ - 2015 م

جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

# رسالة دكتوراه

اسم الطالبة : ماجدة حسين المبروك الضبيع

## عنوان الرسالة : فاعلية المرجعيات النصية في تشكيل الخطاب الشعري الحديث في ليبيا
(١٩٧٠ – ٢٠١٠م)

اسم الدرجة العلمية : دكتوراه في الآداب – تخصص اللغة العربية

لجنة الإشراف

**أ.د/ عبد الناصر حسن محمد**
أستاذ الأدب العربي بقسم اللغة العربية
جامعة عين شمس

**د/ هدى عطية عبد الغفار**
مدرس الأدب المساعد بكلية الآداب
جامعة عين شمس

## الدراسات العليا

ختم الإجازة
/ /٢٠١٥م
موافقة مجلس الكلية
/ /٢٠١٥م

أجيزت الرسالة بتاريخ
/ /٢٠١٥م
موافقة مجلس الجامعة
/ /٢٠١٥م

# فهرس المحتويات


| الموضـــــــوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| الإهداء | د |
| شكر وتقدير | هـ |
| المقدمة | ٤،٣،٢،١ |
| **تمهيد: نحو مقاربة مفهوم المرجعية النصية** | |
| التناص وتأسيس مفهوم المرجعية النصية | ٦ |
| نظرية النص النشأة والإسهامات | ٦ |
| علاقة النص بمجتمع النصوص | ٦ |
| التناص والمثول النّصي (النصوص المُصاحبة) | ٨ |
| طبيعة المرجعية النصية ومسارات البحث عنها | ١٠ |
| **الفصل الأول: البنية الإيقاعية ومؤشرات الاتصال بالمرجعية النصية** | ١٢-٥٩ |
| مدخل: الإيقاع الشعري وتجسّداته في لغة النص الشعري: | ١٣ |
| الإيقاع والموسيقى من الإيحاء إلى التفاعل والترابط | ١٣ |
| التشكيل الموسيقي وسلطة الشكل وأبعاده | ١٤ |
| المبحث الأول: موسيقى العنونة | ١٧ |
| حوارية العنوان والمتن وظل المرجعية النصية | ١٧ |
| الإيحاء الإيقاعي عبر مفردة في العنوان | ١٨ |
| دلالة المركب العنواني وأصداؤه الإيقاعية | ٢٠ |
| حركة التماثل النغمي | ٢١ |
| المبحث الثاني: الموسيقى التقليدية والمرجعية النصّيّة دلالة الاتصال والانفصال | ٢٢ |
| المعارضة الشعرية ومحاكاة النموذج | ٢٣ |
| المعارضة الشعرية حوار موسيقي وتحويل دلالي | ٢٧ |
| المبحث الثالث: الموسيقى الدّاخليّة تقارب الأبعاد واختلاف القيم | ٣٣ |
| التكرار اللفظي: | ٣٤ |
| تكرار القوافي (خارجيّاً وداخليّاً) | ٣٨ |
| إيقاع الاستهلال واستراتيجية الإقناع | ٤٠ |
| الإيقاع الداخلي ونسق الضمائر | ٤١ |
| التكرار الدّرامي للأفعال | ٤٢ |
| الجناس والتكرار المزدوج (بالوزن، وبالحرف) | ٤٤ |
| إيقاع الحوار الداخلي | ٤٥ |
| الإيقاع النفسي المتشابه بفعل التضاد | ٤٧ |
| إيقاع السّرد وتنغيم الهمسات | ٥٢ |
| إيقاع البياض والسّواد: الحجب والتّجلّي | ٥٤ |
| **الفصل الثاني: فعالية المرجعية النصية في انتقاء المفردات الشعرية وتشكيلها** | ٦٠-٩٣ |
| مدخل:اللغة الشعرية بوصفها موضع تفاعل النصوص | ٦١ |
| المفردة الشعرية علامة سيميائية | ٦١ |
| المبحث الأول :المؤشر العنواني | ٦٣ |

| الموضـــــــوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| عناوين المجوعات الشعرية وإشارتها إلى المرجعية النصية عبر لفظ بعينه | ٦٣ |
| العنوان الداخلي مفصل استدعاء المرجعية النصية | ٦٧ |
| المفردات الإيحائية في منصة العنوان | ٧٠ |
| المبحث الثاني: سيميائية المفردات الشعرية على سطح النص | ٧٣ |
| أولاً: الدوال الإحالية المباشرة | ٧٣ |
| أسماء السور القرآنية والإحالة على نصوصها | ٧٣ |
| الشخصية التراثية دال نصي | ٧٥ |
| ثانياً: الدوال الموحية بالمرجعية النصية في متن النص | ٨٠ |
| سيمياء الدوال الزمانية | ٨٢ |
| سيمياء الدوال المكانية | ٨٦ |
| الرموز الأسطورية وإيحائها بالمرجعية النصية | ٨٧ |
| **الفصل الثالث: التراكيب والجمل الشعرية وسلطة المرجعية النصية** | ٩٥-١٣٥ |
| مدخل: التراكيب والجمل الشعرية بين الخصوصية والتّعالق النّصّي | ٩٥ |
| توليد التراكيب والجمل الشعرية وتوالدها داخل الخطاب الشعري | ٩٦ |
| المبحث الأول: التراكيب الدالة على مرجعيتها في مستوى العنوان | ٩٨ |
| المبحث الثاني التماثل التركيبي | ١١٠ |
| الاستشهاد الشعري"التناص الاقتباسي" | ١١٠ |
| المبحث الثالث: الاستدعاء والتحويل لتراكيب المرجعية النصّيّة | ١١٨ |
| المبحث الرابع: استدعاء المرجعيّة النّصّيّة بدلالة النّفي | ١٢٦ |
| المبحث الخامس: استثمار هيئة التراكيب المرجعية | ١٣٠ |
| **الفصل الرابع: فعالية المرجعية النصية في تشكيل الصورة الشعرية** | ١٣٦-١٨٠ |
| الصورة الشعرية وأيقنة النص (الصورة أيقونة) | ١٣٦ |
| المبحث الأول: الصورة المُشهَرَة في العنوان | ١٣٨ |
| أولاً: عناوين المجموعات الشعرية (العنوان الخارجي) | ١٣٨ |
| ثانياً: العناوين الداخلية واحتواء الصورة المرجعية | ١٤٤ |
| الصورة التشكيلية | ١٤٤ |
| الصورة الرمزية في العنوان | ١٤٥ |
| الصورة التخيلية من خلال القناع | ١٤٦ |
| درامية المشهد وتكامله بين العنوان والنص | ١٤٨ |
| المبحث الثاني:الصورة الجزئية وتعالقها بالمرجعيّة النّصّيّة | ١٥١ |
| الصورة التشبيهية | ١٥١ |
| أنسنة مظاهر الطبيعة وتجسيم الصورة المرجعية | ١٥٤ |
| الصورة الجزئية وفلسفة الرمز الصوفي | ١٥٨ |
| الصورة الكنائية وتجسيد ما وراء الحسّي | ١٥٩ |
| الصورة الجزئية من خلال التضاد | ١٦١ |
| مخالفة الصورة المرجعية والتناص معها بنقضها | ١٦٢ |
| المبحث الثالث: الصورة الكليّة وتعلّقها بالمرجعية النصية | ١٦٥ |
| الصورة الكليّة المركّبة | ١٦٥ |
| الصورة المركبة وتجسيد الدلالة اللونية | ١٦٨ |

| الموضـــــــوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| صورة المكان واستمداد تفاصيل المشهد المرجعي | ١٦٩ |
| الأبعاد التصويرية للشخصية المرجعية (الاستدعاء والتوظيف) | ١٧٣ |
| الخاتمــة | ١٨٠ |
| قائمة المصادر والمراجع | ١٨٢-١٩٢ |
| ملخّص باللغة العربية | ١٩٣ |
| ملخص باللغة الإنجليزية | 1 |

# الإهداء

إلى مَن هم في حياتي حياة

ولهم تنحني حروف هذه الدراسة حباً وامتناناً

(لطفي)

(أحمد) (ليبيا)

أهدي عصارة جهدي وثمرة صبرهم

كما أهدي تعبي إلى من كان صدى أصواتهم زادي ومعيني في غربتي،

ودعاؤهم يقيني وعثاء السفر

(والدي الحبيب،أمي الغالية، إخوتي وأخواتي)

فهم جميعاً دافعي نحو النجاح.

وأخيراً إلى التي خفضت جناحها حباً وبذلاً وعطاءً

(فاطمة عبد الرحمن)

متّعها الله بالصحة والعافية

يشرّفني أن أتقدّم بالشكر والتّقدير إلى كلّ من أسهم في خروج هذه الدراسة إلى حيّز الوجود، وأخصّ بالشكر الناقد الأستاذ الدكتور:

**(عبد الناصر حسن)** الذي تفضّل بالإشراف على هذه الدراسة في فترة محددة كان لها أثر كبير على تقدّم البحث نصحاً وتوجيهاً ليظهر على ما هو عليه.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الناقدة الدكتورة **(هدى عطية)** التي رافق حسّها البحثي هذه المسيرة طيلة ثلاث سنوات جزاها الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أشكر الأستاذة الدكتورة **(حسنة عبد السميع)** التي رافقت توجيهاتها ورؤاها انطلاق عُقال بحثي هذا في خطواته الأولى ولم تبخل بالتوجيه والنصيحة اللذين أنارا كثيراً من جوانب الدراسة.

ويسّرني أن أشكر جامعة (عين شمس العريقة) إدارة وأساتذة على تسهيلهم سبل العلم لطالبيه وطالباته، وبذلهم ما أمكنهم في سبيل ذلك.

وأُعبّر عن حبّي وشكري لريحانة نفسي (ليبيا الحبيبة) التي لم تعقم عن إنجاب الشعراء والنّقاد رغم المحن والصعاب، وأدعو الله أن تعمّر بنيانها بالحبّ والحجارة.

## المقدّمة

الحمد لله ، والصّلاة والسلام على رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وبعد.

فقد أثبتت الدّراسات النقدية الحديثة –بما لا يدع مجالاً للشّك– وجود روافد تبني النّص الأدبي شعريّاً كان أو نثريّاً، تتداخل في النصّ، وتتعالق، وتستفيد بفعلها النصوص بعضها من بعض، بعد أن كاد النقّاد يجمعون على أنّ النّص لا يظهر من فراغ ولا ينشأ في الفراغ، إنما يظهر في عالم مليء بالنصوص الأخرى.

ولمّا كان الكاتب يُنتِج شيئاً جديداً حصيلة ما قرأه بعد الامتلاء؛ فإنّه ينتج نصّه (نصوصه) بناءً على تفاعل نصوص ثقافية وإبداعية بأشكال مختلفة، وكيفيات متعدّدة.

وبما أنّ النص يتم إنتاجه ضمن نصوص أخرى تشكّل خلفية له ومرجعيّة لدلالته؛ فإنّه لا يمكن أن يُقرأ أو يُحلّل إلا بالرّجوع إلى تلك النصوص، واستحضارها في الذهن: ذهن المبدع في أثناء إنتاج النص، وذهن المتلقّي في أثناء القراءة ليتحقّق عبرها وعي القراءة.

من هنا فإنّ النّص الشعري الحديث يكتسب سمات الانفتاح والدينامية وكثيراً من خصائصه الجمالية والفنية من خلال تفاعله مع النصوص الأخرى، وارتباطه بها ارتباطاً يأخذ شكل النّسق الدّال على تضافر الذات الشاعرة والنّص مع القارئ في أثناء عملية إنتاج النّص وتلّقيه.

لقد أثارت فكرة التناص جملةً من التّساؤلات حول مرجعيات النص الأدبي، وبينت أنّ عناصر تشكيل النّص ترتبط بالإطار الخارجي النّصّي المحيط به بقدر ما تتبدّى فعاليتها في ذلك التّشكيل. وهي في هذا تولي أهمية بالغة لما حول النص.

وقد لفتت مسألة (التواصل التفاعلي) و(المحيط الإنتاجي للنص) أنظار النقّاد القدامى وأفهامهم وحظيت بعديد من الدراسات تحت بند السرقات والتخاطر والتّضمين بوصفها علامات دالّة على عدم استقلال النّص الشعري عن مسار التفاعل مع غيره من النصوص والتّأثّر بها على الرغم من إهمالها القيمة الإبداعية للنص الحديث وتركيزها على أصالة النص الأقدم.

وقد توالت الدراسات التي تعالج أهمية المحيط النّصّي فتناولت التناص واهتمت بالنص الغائب ومنها دراسة فاطمة قنديل بعنوان (التناص في شعر السبعينيات) ودراسة بعنوان (التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة)، ودراسة بعنوان (النص الغائب في القصيدة العربية الحديثة) وكذلك دراسة الباحث محمد عبد الرضا شياع بعنوان (الخلفية النصية الإسبانية والشعر العربي المعاصر)، فلم تقتصر الدراسات على تفاعل النص مع مرجعياته الشفوية؛ وإنما تلفت الاهتمام إلى دور المرجعيات الكتابية في إنتاج النص وتوجيه دلالته بوصفها أكثر قرباً من روح النص.

وقد أضحت النصوص الشعرية الليبية الحديثة بحاجة إلى الكشف عن مرجعيات بنائها وتحديد كيفيات تعامل النص معها. وخصوصاً بعد ظهور دراسات تهتم بالنص الشعري الليبي من جوانبه الفنية مثل دراسة محمد الهادي الطرابلسي: بحوث في النص الأدبي، ودراسة قريرة زرقون المعنونة بـ(الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث). وقد تناولت الدراسات الشعر الليبي من ناحية الصورة وفي هذا المجال تبرز دراسة الباحثة نجاة عمار الهمالي بعنوان الصورة الرمزية في الشعر العربي الحديث – شعر خليفة التليسي نموذجاً) وقد تطرقت في الفصل الأخير إلى الحديث عن التناص في شعر خليفة التليسي بوصفه أحد أبرز الشعراء الليبيين، ومن هنا انبثقت فكرة دراسة المرجعيات النصية البانية للنص الشعري الليبي الحديث، والتعرف على ماهية النصوص التي يتم إنتاجه في ضوئها وبتأثير منها، ومعاينة أشكالها، ومستويات تفاعل النص معها، ومدى حفاظ النص عليها أو تجاوزه لها، وبيان كيفية تأثير النص الحديث في المرجعية النصية وتحقيق أصالته بإنشاء نص جديد، وقد تحدّدت دراسة هذه الظاهرة بالفترة ما بين (١٩٧٠–٢٠١٠) بوصفها شهدت أحداثاً وتوجهات ثقافية ومعرفية بارزة انعكست بأشكال متعددة على الشعر الليبي وصبغت أغلبه بصبغة الغموض والكثافة والرمزية، وتزامنها مع مرحلة زمنية ظهرت فيها شفرات عديدة لفك غموض النص الشعري وقراءته وتأويله.

إنّ دراسة فعالية المرجعيات النصية في تشكيل الخطاب الشعري الليبي الحديث تعدّ موضوعاً يتفاعل فيه القديم والحديث متجاوزين الأزمنة والأمكنة متعاليين عليها إلى نشدان غايات جمالية وفنية، كما أنّ معاينة هذا الموضوع تستدعي –بدءاً– الكشف عن مفهوم المرجعية النّصّية التي ترى الباحثة أنّها كلّ نصّ إبداعي يمكن للقارئ الافتراضي أو النموذجي استرجاعه في أثناء قراءة النص أو سماعه، وتعتمد أساساً على وجود التناص، ويتم إدراكها عبر التضمين أو الاقتباس أو المعارضة أو الاستشهاد أو توظيف النّص الغائب، واستحضار النصوص السابقة نقلاً أو امتصاصاً أو تحويراً أو مخالفة، ويتم استخراجها من النص بدل إسقاطها عليه.

وانطلاقاً من هذه الرؤية فإنّ هذه الدراسة تطمح إلى رصد تلك العلاقات التي تربط النص الشعري الليبي الحديث بغيره من النصوص الإبداعية الواقعة ضمن دائرته الثقافية، وتحليلها والكشف عن سماتها، والبحث عن التقنيات الأساسية التي يعتمدها الشاعر الليبي الحديث في التعبير عن تجاربه ورؤاه، والكشف عن عمليات الاستلهام والتوظيف في تشابكها مع عمليات الإبداع والخلق.

يعتمد الموضوع في معالجته على نظرية التناص التي تؤكّد تفاعل النصوص وتداخلها في قراءة تعتمد التحليل والتأويل ولا تهمل الوصف. كما أنّ الاعتماد على مناهج أخرى إلى جانب نظرية النص يسهل عملية البحث في المرجعيات النصية والكشف عن العلاقات الداخلية والخارجية لعناصر التشكيل الشعري واستثمار المناهج: البنيوية اللسانية والسردية وبخاصة

أطروحات جيرار جينيت فيما يخصّ التعلّق النصي والمتعاليات النصية، و نظرية كريستيفا وباختين عن التناص، ولا تهمل الدراسة آراء بارت وجان كوهن في بيان رمزية النص وخصائصه السيميولوجية.

كما أنّ للمنهج النّفسي دوره الذي لا يمكن إغفاله في قراءة تفاعل الذات الشاعرة مع محيطها وانعكاس العواطف والأحاسيس في نفس المتلقي.

تلقي هذه المناهج الضوء على دراسة (الماحول) بالإضافة إلى ما هو نصّي ويشمل الثقافي واللساني، وتجتمع في هذه الدراسة لتسهم في فهم النص الشعري الحديث وتبيّن ما يحيط به من ظروف وملابسات؛ ذاك أنّ التعامل مع النص بأكثر من منهج يذلل من صعوبة البحث المتمثلة في وفرة الإنتاج الشعري الليبي الحديث وتعدد أساليب الشعراء، وعمق الفترة محل الدراسة، وهذه لا تُعدّ صعوبة إذا ما تمت مقارنتها بصعوبة أخرى تكمن في أنّ العمل على إدراك مرجعية أي نص وبيان فعاليتها يقتضي الإلمام بالتراث العربي برمته واستدعائه إلى دائرة البحث، بالإضافة إلى تنوع الشعراء في استلهامه وتعدد مستويات تفاعلهم معه كلّ بحسب ثقافته ومقدّراته؛ ولهذا يأتي انتقاء نصوص بعينها، أكثر شهرة، تنطوي على قدر من التنوّع في المرتبة الأولى من أوليات البحث.

ومحاولةً من الباحثة تذليل هاتين الصعوبتين، وبالنّظر إلى تعدّد مستويات تفاعل النص مع مرجعيات نصية بعينها، وإدراكاً لتعدد المساحات التي يشغلها فعل التعلق بالمرجعية في النص، وعدم إمكانية حصرها في نمط واحد؛ فقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تُقسّم إلى أربعة فصول، تعالج تأثر النص الشعري الليبي بالمرجعيات النصية بداية بالوحدات الدلالية الأصغر فالأكبر والانتقال (من البناء الصوتي إلى الصورة الكاملة)، ويشتمل كلّ فصل على مدخل لما يرد في ثناياه، يسبقها تمهيد يختزل القضايا النظرية.

يختص الفصل الأول بدراسة المظاهر الصوتية في النص وعلاقة تشكيله الإيقاعي بالنصوص الأخرى، حيث تستمدّ كثير من النصوص إطارها الموسيقي، أو عناصرها الإيقاعية من نصوص سابقة كما يحدث في المعارضات الشعرية، أو وجود بعض المظاهر الإيقاعية محيلة إلى مرجعية بعينها.

يرصد الفصل الثاني المعجم الشعري في النص الشعري الليبي الحديث، وتتم فيه معالجة آثار المرجعية النصية في انتقاء مفردات النص وتشكيلها، وبيان اشتباكها مع النصوص الأخرى عمقاً وسطحاً وعنواناً من خلال نماذج متنوعة بين شعر التفعيلة والشعر العمودي، ومعاينة الحركة الدلالية للنص الشعري في تفاعله مع غيره من النصوص.

أما الفصل الثالث فيطرح فعالية المرجعيات النصية في انتقاء التراكيب الشعرية والجمل في النص الشعري، وتشكيلها بكيفيات تظل معها تومئ إلى مرجعيتها في عملية تفاعل خلاّق يعتمد إدراكها على فعل التناص.

تُعرض في الفصل الرابع أهم أنواع الصور الشعرية، وتظهر فيه الصور البلاغية واللونية، الساكنة والمتحركة وهي تعيش التشابه والتآلف مع الطبيعة ومع النصوص الأخرى، ويبين تقنيات تفاعل الأشكال والألوان التي تصبغ الصور مع النصوص الأخرى لتغدو حاملة أصالتها وتأثرها المرجعي في الآن ذاته.

يفتتح كلّ فصل من الفصول بدراسة العنوان تحليلاً وتأويلاً بوصفه المثير البارز في النص، وأول مكان لالتقاء القارئ بالنص، وتتداخل مستويات التفاعل مع المرجعيات النصية بأكثر من مستوى في الفصل الواحد.

يعيش القارئ عبر هذه الفصول حالة إرجاع النص إلى مظانّه، ويختصر تعبيرات فنية ومسافات دلالية تفتح ما استغلق في النص، وتؤكّد جمالية التفاعل والتداخل.

وليس الكشف عن المرجعيات النصية أكثر من مسعى للارتقاء بالنقد العربي الليبي إلى مستوى الكشف عن مكامن الشاعرية، وعناصر الإبداع والخلق، والاستلهام والتوظيف، وبيان أنّ النص الشعري الحديث لا يفتأ يتفاعل مع غيره من النصوص المخزونة في ذاكرة الشاعر تآلفاً أو تخالفاً، استلهاماً أو إضافة أو معارضة، لتأكيد أصالته وإثبات كيانه وجماله.

والله وليّ التوفيق ومنه يُستمدّ العون والسّداد.

# تمهيد

# نحو مقاربة مفهوم المرجعية النصّيّة

**(١) التناص وتأسيس مفهوم المرجعية النصيّة :**

**١-١ نظرية النّص: النشأة والإسهامات:**

التناص هو علاقة نصية يعيد بموجبها نصٌّ ما كتابة نصوص أخرى لا يذكرها النص صراحة وإنما تُدرَج فيه وتلتحم به[١] وقد ظهرت المعالم الأولى لمفهوم التناص مع جهود الشكلانيين الروس ولاسيما ميخائيل باختين الذي ابتدع مصطلح (الحوارية) في كتابه "شعرية دويستفكسي[٢] ضمن تنظيره للرواية البوليفونية (متعددة الأصوات)، وقد ربط باختين التناص بتداخل النصوص داخل ملفوظ حواري معين، واستخدم مصطلحي الحوارية والبوليفونية، –وكذلك الكرنفال– للإحالة إلى مصطلح التناص[٣] ثم تبلور المصطلح مع جهود جوليا كريستيفا، ورولان بارت اللَّذَين سعيا إلى تأسيس نظرية للنص، جوهرها انفتاح النّص وتطوير المفهوم السّائد له عند البنيويون؛ حيث أصبح النص بنية مفتوحة، تتصل عناصرها بعلاقات داخلية وخارجية من شأنها أن تضع النص في صلات وثيقة بكل ما يتجاوز النص ويعلو فوقه ويتأمّلهmetatexuality .

وبذلك تطور النظر إلى النص الأدبي متجاوزاً كونه بنية مغلقة لا تحيل على أية مرجعية تقع خارجه،[٤] إلى تصورٍ يكشف عن وجود علاقات تعكس تفاعل النص مع مجتمعه، وقارئه، ومبدعه بواسطة ملفوظاته التي تسهم في فض مغاليق نظامه الإشاري.

**١-١-١ علاقة النص بمجتمع النصوص:**

النّص كيان سوسيولوجي يرتبط بغيره من فروع المعرفة الأخرى؛ ولا ينشأ من فراغ، وقد أجمع النقّاد على ضرورة ربط النص بسياقه الاجتماعي والثّقافي؛ فانبثقت من تلك الرؤيا مصطلحات تحدد علاقة النص بغيره من النصوص، لعل أبرزها مصطلح "حوارية التلفّظ " [٥] الذي كان أوّل بذرة تعالج الأدب بوصفه انعكاساً للقوى الاجتماعية المحيطة بالنص، وتكشف عن الطبيعة الدينامية للغة الأدبية[٦] يشير مصطلح الحوارية إلى وجود علاقة بين ملفوظان تحقق الاستجابة بين المتكلمين في أي نص، وتؤكّد أنّ النّص لا يُكتب بكلمات بكر، إنما يُكتب بكلمات مسكونة بأصوات الآخرين.

---

(١) انظر: ناتالي بييقي -غروس: مدخل إلى التناص، ترجمة: عبد الحميد بورايو، سورية، دار نينوى، ط١، ٢٠١٢، ص١١.

(٢) ميخائيل باختين: شعرية دويستفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، الدار البيضاء، طوبقال، ط١، ١٩٨٦.

(٣) نفسه: انظر ص١٥، وص ٢٧، ٢٨.

(٤) انظر: رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، مصر، دارقباء،ط١، ١٩٩٨، ص٨٦،٨٧،٨٨،٨٩.

(٥) تزفتان تودوروف: ميخائيل باختين (المبدأ الحواري)، ترجمة: فخري صالح، القاهرة، دار رؤية، ط١، ٢٠١٢، ص٣٠.

(٦) المرجع نفسه: الصفحات: ٢٥،٢٦، ٣٨.

وقد تطوّر النّظر إلى لغة النص الأدبي وفق تلك الرؤية فسميت علاقات التفاعل في النص بالتناص [١]،الذي يعدّ أكثر تحديداً من مصطلح الحوارية، لأنه يشير إلى أشكال كثيرة من التفاعل يمكن أن تقوم بين النص ومجموع اللغة المعاصرة له، ومن ثم تنشأ علاقات متعددة بين النص ومجموع الخطابات التي تحيط به، فكل نص يدخل في علاقة "إعادة توزيع باللسان الذي يقع داخله"[٢]، يكون النص وفقها ترحالاً للنصوص وتداخلاً نصياً، وفيه تتقاطع ملفوظات عديدة مأخوذة من نصوص أخري،[٣] تمكّن القارئ من إدراك وجود خطابات مرجعية تتدخل بشكل مباشر، أو ضمني في إنتاج دلالات النص، تتباين درجات حضورها في النص الواحد، وتتفاوت من العموم إلى الخصوص، ومن التصريح إلى التلميح، بحسب وعي المبدع وثقافته،وذاكرته.

لقد اهتم النقد العربي القديم بهذه الظاهرة، فتداخل مفهوم التناص مع مفاهيم أخرى من حقول مختلفة مثل الأدب المقارن والمثاقفة ودراسة المصادر [٤]، وباب السرقات الأدبية، والوضع والوضع والانتحال، التي تهتم بمصادر إنتاج النص الأدبي، وتحدد معالمه بناءً على اشتراك نصوص أخرى في بناء النص الواحد، الأمر الذي يمكّن من القول بأن مصطلح التناص –في النقد العربي– ليس إلا تسمية حديثة لما كان يُعرف قديماً بنقد المصادر[٥]، والوعي بمصادر إنتاج النص يتم الكشف عنها بطريقة مغايرة.

مما سبق يمكن القول بأن النص الشعري يدخل في علاقة تناصيّة تربطه بغيره من النصوص، وتُكوّن في النص شفرات خاصة قائمة على "ازدواج البؤرة" [٦]، تلفت النّظر إلى النصوص السابقة، وتعطي أهمية بالغة للعلاقات التي يقيمها كل نص مع غيره من النصوص.

وهكذا يظهر التناص جزءاً من الممارسة الأدبية، التي تجعل النصّ فضاءً سيميائياً، يعتمد في بنائه وإنتاج دلالاته على ما يقيمه من علاقات بتفاعله مع ما يقع خارجه؛ فتكون كلّ كلمة أو عبارة أو مقطع هي إعادة تشغيل لكتابات أخرى سبقت العمل الأدبي أو أحاطت به [٧].

---

(١) انظر: جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، الدار البيضاء، دار توبقال، ط١، ١٩٩١، ص٢٢.

(٢) نفسه، ص٢١

(٣) انظر: المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) راجع محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، الدار البيضاء وبيروت، المركز الثقافي العربي، ط٣، ١٩٩٢، ص١١٩.

(٥) انظر نتالي بييقي غروس: مدخل إلى التناص، ص٧.

(٦) صلاح فضل: شفرات النص،دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، مصر، دار عين، ط٢، ١٩٩٥، ١٩٩٥، ص١١٨.

(٧) انظر: عزيز توما: مفهوم التناص في الخطاب النّقدي المعاصر، مجلّة الرّافد، العدد٣١، مارس، ٢٠٠٠، ص٢١.